الفصل الخامس

نقل الظرف

حينما يتناول النحاة الظرف مكانا أو زمانا- فإنهم يعنون به المنصوب على الظرفية، وهو الذي يكون وعاء للحدث، ولذلك يسمونه المفعول فيه، وبذلك تتسع دلالة الظرف بهذا المفهوم لتشمل ما كان دالا على مكان أو زمان بلفظه أو صيغته، وما اكتسب هذه الدلالة من سياق الجملة أو التركيب، وقد عرفه ابن هشام بقوله: « ما ضمن معنى (في) باطراد: من اسم وقت، أو اسم مكان، أو اسم عرضت دلالته على أحدهما، أو جار مجراه »[1] .

فهو يبين أن الكلمة لا تعد ظرف زمان أو مكان إلا إذا تضمنت معنى (في) باطراد، سواء أكانت هذه الكلمة دالة على المكان أو الزمان بصيغتها، مثل: (يوم، حين، أمام، خلف)، أم كانت دالة على أحدهما دلالة عارضة، أم كانت جارية مجراه، ويعني بالذي عرضت عليه دلالة الظرفية- العدد الذي أضيف إلى الظرف أو ميز به، وما أضيف إلى الظرف مما يدل على كليته أو بعضيته، أو صفته، والمصدر النائب عنه، ويعني بالذي يجري مجراه ألفاظا مسموعة توسعوا فيها فنصبوها على تضمين معنى (في)، كقولهم: (أحقا أنك ذاهب)، والأصل: (أفي حق)، وقد تناولنا ذلك عند حديثنا عما ينقل إلى الظرفية .

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢/ ٢٣١ .

وقد قسم الدكتور تمام حسان الظروف إلى قسمين:

الأول- ما وضع للظرفية أصلا، مثل: (إذ، وإذا، وأيان)، وهى ظروف زمان، و(أين، وأنَّى، وحيث) وهى ظروف مكان .

الثاني- ظروف منقولة عن المصادر، واسمي الزمان والمكان وبعض حروف الجر، وبعض ضمائر الإشارة إلى المكان، وبعض الأسماء المبهمة، وبعض الأسماء التي تطلق على مسميات زمانية معينة كـ (سحر، وبكرة وضحوة، وليلة، ومساء، وعشية، وغدوة)، ويرى أن هذه الصيغ ليست ظروفا في الأصل[1] .

وقد تنقل الظروف الموضوعة لمعنى الظرفية في الأصل إلى استعمالات أخرى غير الظرفية، وفيما يلي نبين بعض مظاهر ذلك .

١- نقل الظرف إلى الاسمية:

وقد ينقل الظرف إلى الاسمية، بمعنى أنه يستعمل استعمال الأسماء، فيشغل في الجملة وظائف نحوية مختلفة، كالفاعلية، والمفعولية، والابتداء، والخبر، وغيرها، قال سيبويه: «واعلم أن هذه الأشياء كلها قد تكون أسماء غير ظروف، بمنزلة (زيد)، و(عمرو)، سمعنا من العرب من يقول: (دارُك ذاتُ اليمين)، وقال الشاعر، وهو لبيد:

فَغَدَت كـلا الفـرجينِ تحسِـب أنـه

مولى المخافة: خلفُهـا وأمامُهـا[2]

---

(١) راجع اللغة العربية معناها ومبناها ص١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) الكتاب ١/ ٤٠٧ .

فـــ(خلفها)، و(أمامها)قد خرجا عن الظرفية، و استعملا استعمال الأسماء، حيث رفعا بدلا ومعطوفا عليه من (كلا الفرجين)، أو من (مولى المخافة)، أو خبرا ومعطوفا عليه لـــ (مولى المخافة)، أو خبرا لمبتدأ محذوف، أي: (هما خلفها وأمامها)[1] .

وقال ابن هشام: « ليس من الظروف (يوما)، و(حيث) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3] فإنهما وإن كانا زمانا ومكانا، لكنهما ليسا على معنى (في)، وإنما المراد أنهم يخافون نفس اليوم، وأن الله تعالى يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه، فلهذا أعرب كل منهما مفعولا به، وعامل (حيث) فعل مقدر دل عليه (أعلم)، أي: (يعلم حيث يجعل رسالته) »[4] .

ومما ينقل إلى الاسمية من الظروف (إذ)، ولكنهم اختلفوا في درجة تصرفه، فذهب الجمهور إلى أنها لا تخرج عن الظرفية إلا بإضافة اسم الزمان إليها، مثل: (يومئذ، وحينئذ، ووقتئذ)، ومنه قوله

---

(١) راجع فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال- معلقة لبيد بن ربيعة، للشيخ محمد على طه الدرة ص٦٩ .

(٢) الإنسان: ١٠ .

(٣) الأنعام: ١٢٤ .

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى ص٢٣٠ .

تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[1]، فلا يجوز أن تخرج عندهم إلى المفعولية[2] .

وذهب ابن هشام إلى أنها تخرج عن الظرفية إلى المفعولية، وخاصة المذكورة في أوائل القصص في التنزيل، فتكون مفعولا به بتقدير (اذكر)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[3]، ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[4]، ورمى ما ذهب إليه بعض المعربين من عدها في هذه المواضع ظرفا لما مضى من الزمان- بأنه « وهم فاحش، لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل تعلق الخطاب بالمكلفين منا، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه »[5] .

وقد تقع (إذ) أيضا بدل اشتمال من المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ ﴾[6]، فـ (إذ) بدل اشتمال من (مريم)[7] .

---

(١) آل عمران: ٨ .
(٢) الدر المصون للسمين الحلبي ١/ ٢٤٧ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ٨٠ .
(٣) البقرة: ٣٠ .
(٤) البقرة: ٥٠ .
(٥) مغني اللبيب ١/ ٨٠ .
(٦) مريم: ١٦ .
(٧) مغني اللبيب ١/ ٨٠ .

ويبدو أن (إذ) لا تتصرف تصرفا تاما بمعنى أنها لا تخرج عن الظرفية مطلقا، أي: إلى الوظائف النحوية المختلفة، وإنما تخرج عن الظرفية إلى هذه الوظائف الثلاث فقط، وهى أن تكون مضافا إليها، ولا يضاف إليها إلا اسم الزمان، وأن تكون مفعولا به، وأن تكون بدل اشتمال من المفعول به، فنقلها إلى الاسمية محدود ومقيد باستعمالات خاصة .

ويرى الدكتور تمام حسان أن (إذ) المفتتح بها القصص القرآني ليست ظرفية ولا متعلقة بمشتق على نحو ما تتعلق الظروف، ولا وظيفة لها إلا الاستفتاح والتأكيد[1]، واستدل على ذلك بصلاحية وقوع (لقد) موقعها في مثل هذه الآيات، يقول: « فلو وضعت (لقد) موضع (إذ) في كل آية مما سبق لوجدت المعنى هو المطلوب، ولا حاجة بنا إلى فعل محذوف وجوبا تقديره: (اذكروا)؛ لنعلق به (إذ) في أي من هذه الآيات؛ لأن ما دخلت عليه (إذ) في هذه الآيات لا يقع في مجال التذكر»[2]، وبذلك تكون (إذ) على رأي الدكتور تمام حسان قد نقلت إلى الحرف أو الأداة، وهى (لقد) ، غير أن مجئ (إذ) بمعنى (لقد) التي هى للقسم غير معهود في اللغة، ثم إن الأمر بالتذكر لا يقتضي بالضرورة أن يكون مبنيا على المشاهدة ونحوها، بل هو تذكر اعتبار، كما أن تعلق الظرف أو الجار والمجرور بمحذوف أمر شائع في كثير من الأساليب، ومن ثم نرجح أن تكون (إذ) في هذه الآيات ونحوها قد

---

(١) البيان في روائع القرآن ١/ ٤٦ .

(٢) السابق ١/ ٤٧ .

نقلت من الظرفية إلى الاسمية، وأنها مفعول به لفعل مقدر، وقد ذكرنا سابقا أن تصرفها أو خروجها من الظرفية غير مطلق، بل هو محدود ومقيد بأساليب معينة .

٢- نقل الظرف إلى الخالفة:

ويطلق بعض النحاة مصطلح الخالفة على اسم الفعل، وهو عند الدكتور تمام حسان نوع من الخوالف؛ إذ وسع مفهومها، فجعلها تشمل أفعال المدح والذم والتعجب، وبعض أساليب النداء، غير أن الخالفة التي ينتقل إليها الظرف هى اسم الفعل ، ولذلك نقصر حديثنا هنا عليه، واسم الفعل هو: اسم يدل على فعل معين، ويتضمن معناه، وزمنه، وعمله من غير أن يقبل علامته، أو يتأثر بالعوامل[١] .

ويقسمه النحاة- من حيث أصالته ونقله- إلى ضربين:

أحدهما- ما وضع من أول الأمر كذلك كـ (شتان)، و(صه) .

والثاني- ما نقل من غيره، وهو المنقول عن المصدر، وقد سبق الحديث عنه، والمنقول من الظرف أو الجار والمجرور، نحو: (عليك) بمعنى: (الزم)، ومنه قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[٢]، أي: (الزموا أنفسكم)، و(دونك) زيدا) بمعنى خذه، و(مكانك) بمعنى (اثبت)،

---

(١) النحو الوافي ٤/ ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) المائدة: ١٠٥ .

و(أمامك) بمعنى: تقدم، و(وراءك) بمعنى (تأخر)، و(إليَّ) بمعنى (تنح)[1] .

وكان ينبغي أن نتحدث عن نقل الجار والمجرور إلى الخالفة تحت عنوان: (نقل الحرف)، ولكن وجدنا النحاة قد تحدثوا عن الظرف والجار والمجرور حديثا واحدا؛ ولأن الحرف لا ينقل إلى الخالفة وحده، وإنما ينقل الجار والمجرور معا، فهما كالكلمة الواحدة، ولأن كثيرا من النحاة يطلقون مصطلح الظرف، ويعنون به الظرف والجار والمجرور .

وذكر ابن عصفور أن وضع الشئ أو إقامته مقامه لا يؤخذ بقياس، وبنى على هذه القاعدة أن الصحيح أن الإغراء- وهو وضع الظرف أو الجار والمجرور موضع فعل الأمر- لا يجوز إلا فيما سمع عن العرب، نحو: (عليك، وعندك، ودونك، ومكانك، ووراءك، وأمامك، وإليك، ولدنك)[2]، وأجاز الكسائي، ومن تبع مذهبه من الكوفيين نقل جميع الظروف والمجرورات إلى اسم الفعل، إلا ما كان منها على حرف واحد، نحو: (بك، ولك)، وقد رد ابن عصفور مذهبه، فقال: «وهذا فاسد؛لأن وضع الظروف موضع الفعل إخراج لها عن أصلها، فلا ينبغي أن تجاوز بها ما يُسمَع »[3] .

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) راجع شرح الجمل ٢/ ٤٢٩ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ١١٧ .

(٣) شرح الجمل ٢/ ٤٣٠ ، وراجع الهمع للسيوطي ٢/ ١٠٦ .

وإذا كانت هذه الألفاظ المنقولة إلى الخالفة محفوظة عن العرب، ولا يقاس عليها- فإنها وردت بصورة واضحة، وهى متصلة بضمير المخاطب، قال ابن مالك: « لا يستعمل هذا النوع أيضا إلا متصلا بضمير المخاطب، وشذ قولهم: (عليه رجلا) بمعنى (ليلزم)، و(علىَّ الشئَ) بمعنى (أولنيه)، و(إليَّ) بمعنى (أتنحى) »[1] .

والجمهور على أن الكاف المتصلة بهذه الألفاظ ضمير، وليست حرف خطاب خلافا لابن بابشاذ، واختلفوا في موضع الكاف، فهو رفع عند الفراء، ونصب عند الكسائي، وجر عند البصريين، وهو الصحيح؛ لأن الأخفش روى عن عرب فصحاء: (عليَّ عبدِ الله زيدا)- بجر (عبدِ الله) ، فتبين أن الضمير مجرور الموضع لا مرفوعه ولا منصوبه، ومع ذلك فمع كل واحد من هذه الأسماء ضمير مستتر مرفوع الموضع بمقتضى الفاعلية، فلك في التوكيد أن تقول: (عليكم كلكم زيدا) بالجر توكيدا للموجود المجرور، وبالرفع توكيدا للمستكن المرفوع[2] .

وتجدر الإشارة إلى أن الظرف والجار والمجرور لا ينقلان إلا إلى ما دل على الأمر من أسماء الأفعال، فلا ينتقلان إلى ما دل على المضي، أو ما دل على المضارع، ولذلك يضمر فيه الفاعل، كما يضمر في فعل الأمر .

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣/ ١٣٩٣ .

(٢) شرح الأشموني ص٢٠١ ، ٢٠٢ .

٣- نقل الظرف إلى الحرفية:

وقد تنقل بعض الظروف إلى الحرفية أو الأداة، فيستعمل الظرف استعمال الحرف أو الأداة، ومن ثم لا يكون له متعلَّق، ولا يكون له محل من الإعراب، بل يدل على ما يدل عليه الحرف من معنى، ومن ذلك نقل (إذ) من الظرفية الدالة على المضي إلى الحرفية، فتكون بمعنى المفاجأة، وإذا استعملت للمفاجأة فلا تقع إلا بعد (بينا) أو (بينما)، ومثل لها سيبويه بقولهم: (بينما أنا كذلك إذ جاء زيد)[١]، واختار ابن هشام حرفيتها، وقيل: زائدة، وقيل: ظرف زمان، وقيل: ظرف مكان[٢] .

كذلك تنقل (إذا) من معنى الظرفية إلى الحرفية فتكون للمفاجأة، وذلك على مذهب الكوفيين، واختاره ابن هشام وابن مالك، وذهب المبرد إلى أنها ظرف مكان، والزجاج إلى أنها ظرف زمان، واختار ابن عصفور رأي المبرد، واختار الزمخشري رأي الزجاج، وتختص حينئذ بالجملة الاسمية تفريقا بينها وبين (إذا) الظرفية الشرطية؛ فإنها تختص بالجملة الفعلية عند الجمهور[٣]، ومثال (إذا) الفجائية في القرآن

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٢ .
(٢) شرح قواعد الإعراب للكافيجي ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
(٣) السابق ص٢٧٩ .

الكريم قوله تعالى:﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[1]، ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[2] .

وقد تنقل بعض الظروف الملازمة للظرفية إلى أدوات استفهام وأدوات شرط، ولكن لا تستعمل أدوات للشرط إلا إذا وصلت بـــ (ما)،قال الفراء: « إذا رأيت حروف الاستفهام قد وصلت بـــ (ما)، مثل قوله: أينما، ومتى ما، وأيُّما، وحيثما، وكيفما- كانت جزاء ولم تكن استفهاما، فإذا لم توصل بـــ (ما) كان الأغلب عليها الاستفهام، وجاز فيها الجزاء »[3] .

وأما (إذ ما) فقد عدها سيبويه حرفا بمنزلة (إنْ)، كما أنه عدها حرفا بسيطا وليس مركبا، يقول: « ولا يكون الجزاء في (حيث)، ولا في (إذ) حتى يُضَم إلى كل واحد منهما (ما)، فتصير (إذ) مع (ما) بمنزلة (إنما)، و(كأنما)، وليست (ما) فيها بلغو، ولكن كل حرف واحد منهما مع (ما) بمنزلة حرف واحد »[4] .

فيتضح من كلام سيبويه أن (إذ ما) انسلخت عن دلالتها على الظرفية، وصارت من أدوات الشرط تقوم بربط الجواب بالشرط، مثل: (إنْ)، ولم يَعُدّ أحد من النحاة القدماء (إذ ما) من أدوات الشرط غير

---

(١) الأعراف: ١٠٨ .

(٢) طه: ٢٠ .

(٣) معاني القرآن ١/ ٨٥ .

(٤) الكتاب ٣/ ٥٦ ، ٥٧ .

سيبويه، قال الفراء: « ما علمت أحدا من النحاة ذكر (إذ ما) إلا سيبويه وأصحابه »[١]، فهو أول من عدها من أدوات الشرط ، وقد عدها المبرد وابن السراج والفارسي ظرف زمان[٢] « بمنزلة (متى)، فإذا قلت: (إذ ما تقم أقم) فمعناه: (متى تقم أقم)، ويدل على اسميتها عندهم أنها كانت قبل دخول (ما) اسما، والأصل بقاء الشئ على ما كان عليه »[٣]، ولكن كثيرا من النحاة رجحوا حرفيتها، ومنهم ابن هشام والفاكهي، وعليه يكون المعنى في المثال: (قم أقم)، وأجيب عن القول بأنها ظرف بأنها قد سلب منها معناها الأصلي بعد دخول (ما) بدليل أنها كانت لماضي فصارت للمستقبل، واستعملت مع (ما) الزائدة استعمال (إن) فكانت حرفا في الشرط[٤] .

كذلك (حيثما)، فإنها نقلت من الظرفية إلى أداة الشرط، قال الرضي: « وأما (حيثما) فنقول (ما) فيها كافة لـــ (حيث) عن الإضافة لا زائدة، كما في (متى ما)، و(إذا ما)، وذلك أن (حيث) كانت لازمة للإضافة فكانت مختصة بسبب المضاف إليه فكفتها (ما) عن طلب الإضافة، لتصير مبهمة كسائر كلمات الشرط »[٥] .

---

(١) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ١/ ٨٥ .

(٢) مغني اللبيب ١/ ٨٧ .

(٣) حاشية يس على شرح الفاكهي ١/ ٨٤ .

(٤) المرجع السابق ١/ ٨٤ .

(٥) شرح الكافية ٢/ ٢٥٤ .

كما أن بعض هذه الظروف غير المتصرفة قد تنقل إلى أدوات الاستفهام، مثل: (أين، ومتى، وأيان)، كما رأينا من قبل نقلها إلى أدوات الشرط عند اتصال بعضها بـ (ما)، وإذا نقلت هذه الظروف إلى أدوات الاستفهام أو الشرط تنوسيت فيها معنى الظرفية، فلا تحتاج إلى متعلَّق يعمل في محلها النصب، يقول الدكتور تمام حسان: « ويحلو للنحاة عندئذ أن يبقوا لها معنى الظرفية فيعلقوها في جملة الاستفهام بجملة الاستفهام، وفي جملة الشرط بجواب الشرط، وكان المنطقي أن ينسوا ظرفيتها بعد النقل كما نسوا موصولية (مَنْ) و(ما) في الشرط، فجعلوا ما بعدهما شرطا ولم يجعلوه صلة »[1] .

وقد عد الدكتور تمام حسان (ما) المتصلة ببعض الظروف المنقولة إلى الشرط شرطية، فقال: « وعند نقل الظروف إلى الشرط تلحق بها (ما) الشرطية، وهذا شبيه باتصال (ما) الاستفهامية بحرف الجر عند إرادة الاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾[2]، ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[3] »[4] .

فعلى رأي الدكتور تمام حسان يكون معنى الشرط قد جاء من قبل (ما)، لا من قبل الظرف المنقول إلى الشرطية، وهذه يتنافى مع ما

---

(١) البيان في روائع القرآن ١/ ٦٣ .

(٢) البقرة: ١٤٨ .

(٣) البقرة: ١٤٤ .

(٤) البيان ١/ ٦٣ .

ذهبنا إليه من نقل الظرف من الظرفية إلى أداة الشرط، والصحيح ما ذكره الرضي من أن (ما) كافة للظرف عن إضافته إلى ما بعده، ومهيئة له معنى الشرطية، ودخوله على الفعل، ولعل الرضي يعني بالتفرقة بين (ما)الكافة و(ما) الزائدة- وإن كان كل منهما حرفا- أن الزائدة لا تكف الظرف عن الإضافة، كما لا تكف حرف الجر عن عمله في نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[1]، أما (ما) الكافة فإنها تكف (إنّ) عن العمل في الجملة الاسمية، وتهيئها للدخول على الجملة الفعلية، وتحولها إلى أداة حصر، كما تحول (ما) الظرف إلى أداة شرط .

وقد تنقل (إذ) من الظرفية إلى التعليل فتكون حرفا لا محل له من الإعراب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[2]، أي: (لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأنكم ظلمتم أنفسكم)[3]، ومثل لها الدكتور تمام حسان بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، أي: (لأنه قال أسلمت)[5] .

---

(١) آل عمران: ١٥٩ .

(٢) الزخرف: ٣٩ .

(٣) شرح قواعد الإعراب للكافيجي ص٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٤) البقرة: ١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) البيان ١/ ٦٣ ، ٦٤ .

وقد ذكرنا سابقا عند حديثنا عن خروج (إذ) من الظرفية إلى المفعولية- ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان من أن (إذ) التي افتتح بها بعض القصص القرآني حرف استفتاح وتوكيد، قال: «على أن التركيب القرآني استعمل (إذ) للاستفتاح المشرب بالتأكيد فأعطاها موضوع (ألَا) الاستفتاحية ومعنى (لقد) المؤكدة »[1] .

ومما ينقل من الظروف إلى أداة الشرط (لمَّا)، فقد اختلفوا في حقيقتها، فقيل: إنها حرف شرط تفيد وجود الجواب لوجود الشرط، وقيل: إنها ظرف بمعنى (حين)، والصحيح أنها في الأصل ظرف بمعنى (حين)، ثم تكون حرفا إذا استعملت أداة شرط، قال يس يشرح قول الفاكهي: «(قوله بمعنى حين) وليس فيها معنى الشرط، لأنك إذا قلت: (حين قام زيد قمت)- فلا دلالة على سببية الأول للثاني، (قوله وفيه معنى الشرط) نظر فيه بأنها إنما تدل عند القائل بالاسمية على مجرد الوقت، والقائل بالحرفية على ارتباط إحدى جملتين بأخرى »[2] .

فنفهم من هذا النص أن القول باسميتها مبني على دلالتها على الوقت فقط، وعلى عدم استعمالها رابطة، وأن القول بحرفيتها مبني على كونها رابطة لإحدى جملتين بالأخرى، وأنها تفيد ثبوت الثانية لثبوت الأولى، كما نقول: (لما زارني صديقي أكرمته) .

---

(١) البيان ١/ ٤٦ .

(٢) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ١/ ٨٥ .

ومقتضى ما ذكره الدارسون قديما وحديثا من نقل الظروف غير المتصرفة إلى معنى الشرط، فتصير أداة- أن (إذا) من هذا القبيل، فهى في الأصل ظرف لما يستقبل من الزمان، ولكنها قد تتضمن معنى الشرط، فتكون أداة رابطة لإحدى جملتين بالأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[1]، وبذلك تكون قد نقلت إلى الحرفية، على أنها قد استعملت على الأصل في دلالتها على الظرفية فقط، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[2]، فـ (إذا) في هذه الآية ظرف لخبر المبتدأ بعدها، وهو (يغفرون)، ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جوابا لاقترنت بالفاء[3] .

وعلى هذا تكون (إذا) الشرطية قد نقلت من معنى الظرفية إلى استعمالها أداة من أدوات الشرط، وإن كنت لا أعلم أحدا قال بحرفيتها، كما قالوا بحرفية أخواتها من أدوات الشرط، وحينما تعرض الدكتور تمام حسان لنقل بعض الظروف إلى أدوات الشرط- فإنه لم يذكر من بينها (إذا) الشرطية .

وبعد فإن لنا ملاحظة على نقل هذه الظروف إلى الحرفية لأداء معنى من المعاني، مع تسليمنا بصحة هذا النقل، وهى أن هذه الظروف

---

(١) الأنفال: ٢ .

(٢) الشورى: ٣٧ .

(٣) مغني اللبيب ١/ ١٠٠ .

لم تنقل إلى الحرفية بصيغتها ووظيفتها ومعناها، بمعنى أنها فقدت دلالتها المعجمية، وهى الدلالة على مكان أو زمان، ولكنها نقلت من وظيفة الظرف في الجملة إلى وظيفة الحرف من حيث إنه يؤدي معنى معينا من المعاني: كالمفاجأة والتعليل والشرط والاستفهام، أما من حيث المعنى المعجمي للصيغة- فإنها لا تزال محتفظة به، كما أنها محتفظة بصورة الظرف، إذ ليس من المعقول أن تنقل صيغة الظرف إلى معنى الشرطية مثلا، ثم لا يكون لها إلا الربط بين الجملتين، بل إنها بالإضافة إلى الربط تدل على المكان أو الزمان، فإذا استعملنا (أينما أو أيان أو حيثما) في أسلوب الشرط- فإن لهذه الأدوات وظيفتين: **إحداهما**- وظيفة الربط بين جملتي الشرط والجواب، **والأخرى**- الدلالة على الزمان أو المكان لجملتي الشرط والجواب، فإذا نظرنا إلى الوظيفة الأولى كانت أداة من الأدوات، وإذا نظرنا إلى الوظيفة الثانية كان ذلك مراعاة لأصل دلالتها، ولا بد من مراعاة هذا الجانب الثاني، وإلا لكانت (إنْ) الشرطية مغنية في الاستعمال عن جميع الأدوات، إذ لم يقصد بها سوى الربط بين الجملتين .